برنامج [الكتاب النّاطق]- الحلقة 18

السبت 20/2/2016م 11 جمادى الأولى 1437هـ

✤ في هذه الحلقة سأكمل الحديث بخصوص ما جاء مِن روايات وأحاديث تُذكر في التّشهد الوسطي، والتّشهد الأخير. على سبيل الأمثلة والنّماذج:

✤ عرض نماذج من صيغ التّشهد العديدة الواردة عنهم عليهم السّلام، والتّي تشتمل على ذكرهم باللّفظ بنحو التّفصيل والإجمال: فقد أورد المُحدّث النوري في في مُستدرك الوسائل: المجلد 5 صيغ عديدة للتّشهد وردت عن أهل البيت عليهم السّلام وهي لا تُمثّل كل ما ورد عنهم عليهم السّلام.

✤ أمثلة لصيغ التّشهد الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام:

● في كتاب (القطرة من بحار مناقب النّبي والعترة: ج1) للسّيد أحمد المُستنبط ذكر رواية رواها الشّيخ المجلسي في رسالة معروفة بفقه المجلسي تُبيّن صيغة مُختصرة مِن صيّغ التّشهد الوسطي والأخير:

(بسم الله وبالله والحمد لله وخير الأسماء كلّها لله، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً بين يدي السّاعة، وأشهد أن ربّي نعم الربّ، وأنّ محمّداً نعم الرّسول، وأن عليّاً نعم الوصيّ ونعم الإمام...)

● في كتاب [الفقيه :ج1]. يذكر الشّيخ الصّدوق تشهّد طويل وسلام، ويذكر فيه (وأشهد أنّ الجنّة حق، وأنّ النّار حق، وأنّ السّاعة آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنّ الله يبعثُ من في القبور). إذا كانت صيغ التّشهّد تشتملُ على العقائد الفرعيّة، فما بالكَ بالعقيدة (الأم) وهي الولاية..؟!

وفي نهاية التّشهد (السّلام عليك أيّها النّبي ورحمة الله وبركاته، السّلام على محمّد بن عبد الله خاتم النّبيين، السّلام على الأئمة الرّاشدين المهديّين...). هذا هو التّشهد والتّسليم ذكرٌ للنّبي، وذكرٌ للأئمة عليهم السّلام.

● أيضاً يذكر صيغة أخرى (بعد تسبيح فاطمة عليها السّلام... إلى قولهِ: السّلام على الأئمة الهادين المهديين، السّلام علي جميع أنبياء الله ورسله وملائكته..)

✤ أفضل صيغ التّشهد الجامعة والشّاملة ما جاء في الفقه الرّضوي. جاء فيه (أشهد أنّك نعم الرّب، وأنّ محمّداً نعم الرّسول، وأنّ علي بن أبي طالب نعم المولى، وأنّ الجنّة حق، والنّار حق، والموت حق، والبعث حق، وأنّ السّاعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور..)

إلى أن يقول: (اللّهم صلّ على محمّد المصطفى، علي المرتضى، وفاطمة الزّهراء، والحسن والحسين، وعلى الأئمة الرّاشدين مِن آل طه وياسين، اللّهم صلّ على نورك الأنور، وعلى حبلك الأطول، وعلى عروتك الأوثق، وعلى وجهك الأكرم، وعلى جنبك الأوجب، وعلى بابك الأدنى، وعلى مسلك الصّراط...)

✤ إذا رجعتم للحلقة السّابقة ستجدون أنّ ذكر محمّد وآل محمّد موجودٌ باللّفظ وبالإجمال وبالتّفصيل من بدايات الصّلاة إلى نهاياتها إلى تعقيبها. وهذه ثقافة حُجبت وحُجزت عن شيعة أهل البيت.. فالصّلاة الّتي علّمها مراجعنا للشّيعة في بنيتها اللّفظيّة هي أبعد ما تكون عن محمّد وآل محمّد. وحتّى لو شرح علماء الشّيعة مضامين الصّلاة فهم إمّا أن يشرحوها وفقاً لذوق الشّافعي، وإمّا لذوق ابن عربي، أو سيّد قطب.. وسأُبيّن ذلك في الحلقات الخاصّة بشرح معاني الصّلاة وفقاً لمنهج الكتاب والعترة.

✤ لو أنّ ثقافة الشّيعة بُنيت على هذا المعنى وبهذه الرّوح فإنّ تغيّراً كبيراً في علاقة الشّيعة مع إمام زمانها سيتحقق على أرض الواقع.

✤ مشكلة الشّيعة هي في علاقتها مع إمام زماننا، فهي علاقة ليستْ قويمة، لأنّ معرفة الشّيعة بإمام زماننا ليست كما يُريدها الإمام الحجّة، والسّبب هو أنّ الثّقافة الشّيعية مُخترقة بالفكر المخالف البعيد عن عليّ وآل علي.. وهذه البرامج تريد أن تبيّن لكم أنّ الثّقافة الشّيعية مخترقة بالفكر النّاصبي.

✤ الثّقافة القريبة إلى أعداء علي تحول بين الشّيعة وبين المعرفة الصّحيحة لإمام زماننا، وإذا اختلّت العلاقة بين الشّيعة وإمام زمانها لم يبق لها من دينها سوى طقوس ومصطلحات ومعانٍ هي أقرب إلى فكر المخالفين.

✤ سأمر على كتب شيخ الطّائفة مروراً سريعاً وسأتتبعها بحسب تأليفها بحسب ما ذكر هو من النّاحية التأريخية:

1- كتاب تهذيب الأحكام: هو أوّل كتاب كتبه الشّيخ الطّوسي في حياة الشّيخ المفيد، وهو أحد الجوامع الحديثيّة الأربعة

✤ الّذي نفهمهُ من كلام الشّيخ الطوسي في مقدمة كتابه تهذيب الأحكام:ج1 هو:

- أولاً: أنّ الكتاب أُلف في حياة الشّيخ المفيد، وواضح ذلك من قوله (أيّده الله تعالى) وهو يذكر الشّيخ المفيد
- ثانياً: الكتاب هو شرحٌ للرّسالة العملية للشّيخ المفيد
- ثالثاً: أنّه قال أنّه سيتتبّع مسائل رسالة المقنعة مسألة مسألة بحسب ما وضّحها الشّيخ المفيد
- رابعاً : أنّ المسائل في كتاب التهذيب ستقتصر على مسائل كتاب المقنعة للشّيخ المفيد.

✤ في كتاب المقنعة ذكر الشّيخ المفيد هذه الصّيغة لدعاء التّوجه في الصّلاة: (.. حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم، ودين محمّد، وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب..)

وكتاب تهذيب الأحكام هو شرحٌ للمقنعة، فلماذا ترك صيغة دعاء التّوجه الّتي في المقنعة، وجاء بصيغة تُماثل الصّيغة الّتي يذكرها الشّافعي؟

ولماذا حذف ما جاء من ذكر للأئمة من قنوت الوتر الّذي ذكره الشّيخ المفيد، ولم يُشر إليه لا من قريب ولا من بعيد؟

ولماذا حذف التّسليم الّذي أورده الشّيخ المفيد في المقنعة وفيه سلام على الأئمة، وجاء بصيغة تسليم أخرى من رواياتنا ولكن فيها تسليم على الأنبياء والملائكة فقط؟

(هل جاءت هذه القضية على رِسلها؟)

✤ معروف عن الشّيخ الطّوسي أنّ الأحاديث الّتي يُوردها في كتاب التّهذيب وفي كتاب الاستبصار فيها خلل وفيها نقص، لذا يرجع أهل الخبرة في تقييم النّصوص إلى كتاب الكافي حينما يكون هناك تعارض بين نصوص الكافي ونصوص التّهذيب والاستبصار

2- كتاب الاستبصار [4 أجزاء].. وهو كتاب لم يُشر فيه أيضاً إلى تلك الرّوايات الّتي حذفها من كتاب التّهذيب دون إشارة إلى أنّها وردت في المقنعة، ودون إشارة إلى ما يُقاربها في الاستبصار.

3- (كتاب النّهاية في مجرّد الفقه والفتوى) للشّيخ الطّوسي هو رسالة عمليّة ألّفها حين صار مرجعاً للطّائفة. وفي هذا الكتاب ذكر صيغة دعاء التّوجه الّتي فيها ذكر علي؛ لأنّ هذه الصّيغ كانت معروفة عند الشّيعة، وكتاب النّهاية هو رسالة عمليّة للشّيعة.

بينما كتابي (التّهذيب والاستبصار) هي كُـتب أُلّفت لأهل العلم.

✤ أيضاً أورد الشّيخ الطوسي في (النّهاية) صيغة للتّشهد تشتمل على السّلام على الأئمة، لم يُوردها في كتاب التّهذيب ولا الاستبصار، والسّبب: هو أنّ كتاب النّهاية هو رسالة عمليّة للشّيعة، والشّيعة كانت تعرف دعاء التّوجّه بذكر علي. والشّيخ الطّوسي راعى هذه القضيّة حتّى يتقبّل الشّيعة هذا الكتاب، ودليل ذلك هو ما كتبه في مقدّمة كتابه المبسوط

[وقفة عند ما يقوله الشّيخ الطوسي في مقدمة (المبسوط) بشأن تأليفه لكتاب النّهاية]

4- أمّا في كتاب المبسوط فالشّيخ الطّوسي لم يهتم في آرائه لقضيّة تقبّل الشّيعة، ولهذا جاءت آراءه في المبسوط قريبة جدّاً ممّا يقوله الشّافعي، ومن ذلك صيغة التّشهد حيث يقول أن التّشهد الواجب (هو الشّهادة الأولى والثّانية مع الصّلاة على النّبي وآله، وأمّا الشّهادة الثّالثة إذا جاءت في بعض الصّيغ فذلك زيادة في العبادة والثّواب! وهذا المضمون هو الّذي التزم به علماء الشّيعة إلى يومنا هذا.

5 - كتاب (مصباح المتهجّد) وهو من أواخر كتب الشّيخ الطوسي، وهو كتاب عملي في الأدعية للشّيعة.

أيضاً أورد فيه الشّيخ الطّوسي صيغة للتّشهد فيها ذكر الأئمة، تُشابه الصّيغة الّتي ذكرها في (النّهاية) أمّا في كُتبه العلميّة الّتي أسّست للمنهج الاستنباطي (تهذيب الأحكام- الاستبصار- المبسوط) فهي خليّة من الأدعية الّتي فيها ذكر عليّ وآل علي. فما جاء فيها هو قريبٌ ومُشابه لما جاء في كتاب (الأم) للشّافعي.

✤ ما نلاحظه فيما أشرت إليه من قرائن وصور ولقطات هو:

- أولاً: هناك اضطراب واضح عند الشّيخ الطّوسي في مسيرته العلميّة، نتيجة تأثره بالفكر الشّافعي.
- ثانياً: هناك تضارب واختلاف وتناقض في كُتب الشّيخ الطّوسي العلميّة.

● ثالثاً: حين يُؤلّف لعامة الشّيعة، يختلف في تأليفه عن خاصّة الشّيعة، فحين ألّف تهذيب الأحكام وكذلك الاستبصار لم يُشر إلى الأدعيّة والأوراد الّتي اشتملت على ذكر عليّ وآل علي.. وفي كتاب المبسوط أورد صيّغ تماثل ما أورده الشّافعي. أمّا في (النهاية) و(مصباح المتهجّد) باعتبار أنّها كتب عامّة للشّيعة، فقد أورد فيها ما يوافق الذوق الشّيعي العام.

✤ عرض نماذج من كُتب علمائنا تُشير إلى أنّهم ساروا على نفس منهج الشّيخ الطّوسي

● مثال (1): كتاب (الحدائق النّاضرة) للشّيخ يوسف البحرآني وهو من رموز المدرسة الإخبارية.. يُورد صيغة طويلة للتّشهد فيها ذكر لمحمّد وآل محمّد بالإجمال تحت عنوان (أفضل التّشهد) وليس عنوان الصّيغة الواجبة.. أمّا الصّيغة الواجبة عنده فهي الشّهادتين مع الصّلاة على النّبي وآله.

● مثال (2): كتاب (جواهر الكلام) للشّيخ محمد النّجفي الّذي يُمثّل المدرسة الأصولية.. في المجلد 4 بعد أن يُشير إلى أنّ صيغة التّشهد الواجبة هي الشّهادتين مع الصّلاة على النّبي وآله، يقول: (فيكون الجميع واجباً لكن على التّخيير).

● مثال (3): كلام ينقله السّيد عبد الرّزاق المُقرّم في رسالته (سرّ الإيمان) الّذي يتناول فيها موضوع الشّهادة الثّالثة في الإقامة والأذان، ينقل فيها كلاماً عن الشّيخ مرتضى آل ياسين، يقول فيها الشّيخ مرتضى (ومن هنا يظهر لك وجه القول بجواز ذكر الشّهادة الثّالثة في الصّلاة، فضلاً عن الأذان والإقامة).

فالّذي أفهمه أنّه يقول بجواز ذكر الشّهادة الثّالثة في التّشهد الوسطي والأخير، وهذا لا يختلف عن قول الشّيخ الطّوسي الّذي قال فيه أنّ صيغ التّشهد الأخرى لو ذُكرت تكون سبباً في زيادة الثّواب.

● مثال (4) كتاب (الأنوار الإلهيّة في المسائل العقائديّة) للمرجع الرّاحل الميرزا جواد التّبريزي.. والسّؤال الّذي وجّه اليه عن جواز قراءة الشّهادة الثّالثة في الصّلوات الواجبة والمُستحبّة في التّشهد، وهل تبطل الصّلاة بقراءتها، وسؤال عن حكم قراءتها استحباباً أو بقصد غير جزئيّتها.. وما أجاب به من جواب يقع تحت طائلة الاستحسان وهو أنّ الشّهادة الثّالثة تدخل في الأذان والإقامة من جهة كونها شعار للشّيعة!

✤ الشّيعة في الوسط الشّيعي يشعرون بحرمان لأنّهم لا يجدون فقيهاً يُصرّح بشكل واضح أنّ الشّهادة الثّالثة جزء من أجزاء الأذان والإقامة، فالمراجع والوكلاء والخطباء يتسابقون جميعاً على تأكيد عدم جزئيتها في الأذان والإقامة. فحينما تسمع الشّيعة أنّ مرجعاً يقول بأنّ هذه الشّهادة هي شعارُ الشّيعة، وأنه يلزم ذكرها يفرحون لذلك، وهذه الطّريقة لا أصل لها في طريقة الاستنباط من أحاديث أهل البيت. إذ لا يوجد في منهج أهل البيت أنّه يجوز لنا إدخال شيء في العبادات لأنّه يُتّخذ شعاراً.

✤ التّردد في كلام الميرزا التّبريزي فتارة يقول: أنّها لا تترك لكونها شعار للمذهب وتارة يقولُ أنّه يجوز الاتيان بها في الصّلوات المُستحبّة دُون الواجبة! وهذا التردد جاء من الشّيخ الطّوسي.

✤ ما جاء في كتاب (صراط النّجاة في أجوبة الاستفتاءات: ج1) وهو كتاب استفتاءات للسّيد الخوئي، يتضمّن تعليقات للميرزا التّبريزي في الفتاوى الّتي يختلف فيها مع السّيد الخوئي.

السّؤال 520 الّذي يسأل عن حُكم من يذكر الشّهادة الثّالثة في التّشهد بعد الشّهادتين، وهل تبطل صلاته بذلك أم لا إن كان جاهلاً بالحكم؟

السّيد الخوئي لأنّه لا يعتقد بصحّة الصّلاة أرجع القضيّة إلى المُكلّف، فقال: إن كان معتقداً بصحّة الصلاة معها صحّت فلا إعادة معها.. مع أنّ هذه القضيّة لا ترجع إلى المُكلّف!

✤ صيغ التّشهد الّتي تذكرُ عليّاً وآل علي هي ضعيفة بحسب علم الرّجال النّاصبي.

✤ الّدليل على أنّ الشّهادة الثّالثة جزء واجب من التّشهد الوسطي والأخير:

● الكافي الشّريف: ج3 (قلت لأبي جعفر عليه السّلام أي شيءٍ أقول في التّشهد والقنوت؟

فقال قل بأحسن ما علمت، فإنّه لو كان موقتاً لهلك النّاس).

هذه الرّواية تُعيدنا إلى تعدّد الصّيغ في التّشهد والتّسليم، لأنّ الأئمة لم يذكروا في ذلك صيغة واحدة، وإحدى هذه الصّيغ الواردة في التّشهد مُقتصرة على الشّهادة الأولى فقط كما في كتاب (الاستبصار).

ورواية الإمام الباقر (قل بأحسن ما علمت) تُؤكّد أنّ الأئمة لم يذكروا لنا الصّيغة الكاملة في التّشهد.. وقد وردت رواية أخرى بنفس المضمون في أصل عاصم بن حميد وهو من الأصول الأربعمئة.

✤ تعدد صيغ التّشهد والتّسليم وقصرها وطولها يُذكّرنا بنفس قضيّة الأحاديث الواردة في الأذان والإقامة، فكما أنّ الأئمة ذكروا لنا صيغ مختلفة للأذان والإقامة، بعضها ناقصة وبعضها مُوافق للمُخالفين.. وبحسب قواعد المعاريض فإنّ ذلك يُشير إلى أنّ الأئمة لم يذكروا لنا الصّيغة التّامة في الأذان والإقامة، وأنّ على الشّيعة البحث عن الصّيغة الكاملة.. والقضيّة في التّشهد والتّسليم هي هي.

✤ الرّكوع والسّجود ليس فيهما ذكرٌ للشّهادة الثّالثة، ولهذا لم تأتِ فيهما صيغ متعدّدة.

✤ الإمام يقول: (قل بأحسن ما علمت). وأي شيء أحسن من ذكر علي.

(وقفة مع آيات الكتاب الكريم تُبيّن لنا ما هو أحسن ما علمنا حتّى نقول به في التّشهد والتّسليم)

- (فبشر عبادي ٱلذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أحسن القول ولاية علي.
- (يثبّت الله ٱلذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة) القول الثّابت ولاية علي
- (وقفوهم انهم مسؤولون) عن ولاية عليّ يُسألون.
- (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس) نوراً أي إماماً.
- (استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم) دعاكم إلى ولاية علي.
- (قل إنّما أعظكم بواحدة) هي الولاية
- (وأن لو استقاموا على الطّريقة) الطّريقة ولاية علي.
- (وإنّي لغفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى) اهتدى إليك يا علي، واهتدى بك.
- (هنالك الولاية لله الحق) الولاية لعلي.
- (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) علي الإمام المبين.
- (يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك) هل هناك شيء أعظم وأحسن من الولاية أُمر الرّسول بتبليغها؟
- (اليوم أكملت لكم دينكم) بولاية علي
- (اهدنا الصّراط المستقيم) الصّراط علي.

✤ (وما علّمتم من الجوارح مُكلّبين تعلمونهنّ ممّا علّمكم الله) إذا كان الكلب لابدّ أن يكون علمهُ الّذي يُعلّم به من الله، حتّى يكون صيدهُ حلالاً فما بالك بصلاتنا..؟!